من قضايا العلوم القرآنية في أحاديث الإمام الصادق عليه السلام

راضية تبريزي زاده
باحثة في مركز دراسات الحوزة العلمية وجامعة قم
Tabrizi1390@gmail.com

الملخص:

تطلق العلوم القرآنية على مجموعة من المعارف الخارجية للقرآن هي التي تعرّفنا على القرآن وكيفية تفسيره. نشأ هذا العلم بعد نزول القرآن بفترة قصيرة وقد بلغ ذروته بإرشادات الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وفريق من الصحابة والتابعين وقد طوى دربا لولباً مفعماً بالسهول والشعب بعد خمسة عشر قرناً. وما وقع حالا بين أيدينا من معالم ومكتوبات في العلوم القرآنية ليست إلا رأسمال ثمين ورث عن خلف عريق وهذا قد قدّم في مجالات معرفة القرآن الكريم خدمات جديرة. ما يلفت انتباهنا اليوم كورّاث هذا العلم هو إعادة الفحص والدرس فيه وإعادة النظر في العلوم القرآنية من منظور خارجي ورؤية معرفية بكيفية ثانية لهذا الحقل العلمي، وذلك لأجل المعرفة الحقة المستجدة والكشف عن كيفية هذا الميراث العلمي، وتبييناً للفجوات المتواجدة فيه ورتقاً لهذه الفجوات وتقديم حلول لها.

وهنالك يصطدم المتلقي في كلام الإمام الصادق عليه السلام وأحاديثه الصادرة عنه بملامح تشير إلى قضايا ((العلوم القرآنية)) وقد قصدت هذه المقالة معالجة قسم من أحاديث الإمام الصادق عليه السلام التي وردت في هذا المجال ودراسة هذا الجانب منه.

الكلمات المفتاحية: العلوم القرآنية، الإمام الصادق عليه السلام، القرآن الكريم، العترة الطاهرة.

المقدمة:

استناداً إلى حديث الثقلين الشريف الذي اتفق عليه الفريقين، يذكر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عترته الطاهرة أي حاملو السنة والأئمة المعصومين؛ يذكرهم بجانب القرآن كميراثين ثمينين كما يؤكّد على التمسك بهما اهتداء بهم إلى طريق السعادة. بناء على هذا، اعتبر العلماء والمفكرين المسلمين في الميادين الإسلامية المختلفة القرآن والسنة كأهم وأوثق مصدر لفهم

واستخراج التعاليم الدينية. ولا يخفى على كل باحث متأمل دور السنة وأحاديث النبي الأكرم وخلفاؤه المعصومين في تبيين والكشف عن المقاصد القرآنية. ولن يتمّ الفحص عن التعاليم القرآنية ومعارفه السامية بيسر وهناء إلا بمساعدة كلام آل البيت عليهم السلام ولآليئ كلامهم الخالصة.

الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لأجل الظروف التي مرّت به من مضي الحكم من يد بني أمية إلى يد بني العباس، وجد خير فرصة مناسبة لتبيين التعاليم الإسلامية وتفصيل الأحكام وتفسير الفكرة الدينية تفسيراً صحيحاً صائباً وسعى مسعاه وبذل قصارى جهده لترسيخ الفكرة الأصيلة الشيعية وإحيائها وذلك بتربية التلاميذ وانعقاد مجالس تفسير القرآن وتبيين الأحكام والتعاليم الدينية. هذه النشاطات الواسعة التي ابتدأت زمن الإمام الباقر عليه السلام ازدهرت ونمت نمواً خارقاً فترة الإمام الصادق عليه السلام. وفيما يلي يشار إلى المحاور التي أومأ إليها الإمام الصادق عليه السلام في أحاديثه وتعالج معالجة فاحصة دقيقة، هي التي تستأهل أن توظّف في العلوم القرآنية التي ترعرعت حديثاً.

١ـ قضية استحالة تحريف القرآن الكريم.

تأتي كلمة التحريف عن جذر ثلاثي هو ((حـ ر ف)) ويعني الزاوية وطرف الشيء. يقول صاحب الصحاح: ((حرف كل شيء طرفه و حدّه و منه حرف الجبل و هو أعلاه المحدد)) (الجوهري، ١٠٧ق ج٣، ص١٣٦٢). ويعني هذا أن حرف كل الشيء، طرف منه وحافّته، ووحدوده ومن هذا الجذر ((حدّ الجبل)) أي حافته الصارمة. ويكتب ابن منظور: ((حرف السفينة والجبل طرفهما... وحرف الشيء، ناحيته وجانبه)).(ابن منظور، ١٦١٦ق، ج٩، ص٦١).

حيال تحريف القرآن وعدم تحريفه نوقشت قضايا منذ القدم على يد الباحثين المسلمين من الشيعة وأهل السنة. وحاول علماء الشيعة بالأدلة القرآنية المنوعة، والأدلة الروائية والتاريخية والعقلية أن يطهّروا ساحة القرآن الكريم المقدسة عن هذه الشائبة وحاول هؤلاء أن يؤكدوا على استحالة تحريفه عبر الزمن كما اجتهدوا في رفض هذه التهمة التي تجعل القرآن الكريم في ورطة التحريف ـ التهمة التي طرحت من قبل معارضي الشيعة ومخالفيهم ـ.

إلا أن للتحريف قسمين أساسيين: لفظي ومعنوي؛ التحريف اللفظي، هو التصرّف

والتغيير في أسلوب ألفاظ القرآن وعباراته وقد طرح قسمين من هذا النوع من التحريف اللفظي أكثر من الأقسام الأخرى:

التحريف اللفظي بالزيادة؛ وهو يعني زيادة آية أو سورة مجعولة بلسان إنسان إلى نص القرآن؛ والتحريف اللفظي بالنقصان؛ وهو يعني حذف قسم من الألفاظ، أو الآيات أو سور القرآن الكريم. وأما التحريف المعنوي فهو يعني تحريف معنى الآية وخروجه عن مهاده الصحيح وأن تفسّر الآية انطلاقاً من الافتراضات الباطلة، وفي الحقيقة، يعني هذا النوع من التحريف تحميل رؤية المفسر على القرآن الكريم، بناء على هذا التعريف يمكن عنونة هذا القسم بـ ((التفسير بالرأي)).(جوادي الآملي، ١٣٨٣، ص١٨-١٧)

التحريف المعنوي أي التفسير بالرأي قضية مسلمة لا شية فيها وقد حدثت مراراً بمكر من الأمويين والعباسيين الذين تطوف أعمالهم في مدار القدرة كما أنه تم وقوع هذه الداهية على يد العلماء الجهلة الذين ابتعدوا عن حقائق التفسير ولم يرتووا بمشرع تفسير آل البيت المَعين؛ فمن الضروري حمل كثير من روايات الأئمة المعصومين ومنهم الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ في وقوع التحريف في القرآن الكريم ما أسند إليه مزعمي التحريف على الجانب المعنوي.

وبجانب هذه الأحاديث، هناك روايات يدرك منها صراحة انعدام تواجد التحريف (اللفظي) في القرآن الكريم. وقد استند الباحثين إلى خمس طائفة من الروايات إثباتاً لتنزيه القرآن من التحريف. وهذه هي الفئات الخمس لهذه الروايات: حديث الثقلين، روايات العرضة، روايات الرجوع إلى القرآن عند نشوب الفتن، وروايات قراءة السور في الصلاة كاملة، وروايات فضائل السور. (جوادي آملي، ١٣٨٣، ص٩٧) ومن هذه الروايات هي الروايات التي أعلن فيها: ليس الأحاديث موثّقة معتبرة إلا إذا لم تكن معارضة للقرآن مخالفة لمضامينه وقد اصطلح على هذه الروايات بـ ((روايات العرضة)). نموذجاً: قال الإمام الصادق عليه السلام عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: ((أيها الناس! ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله (كليني، ١٣٩٢، ج١، ص١٩٩) يعني أيّها الناس! كل ما وصل منّي إليكم إذا وافق القرآن وانطبق عليه فهو منّي وإن عارض القرآن وخالفه فهو ليس منّي. وقال عليه السلام أيضاً: ((ما أتاكم عنّا من حديث لا يصدّقه كتاب الله فهو باطل)) (البرقي، ١٦٢٩ق، ص١٦٧) يعني: كل حديث وقع في متناول أيديكم ولم

يؤيّده القرآن الكريم فيجب الإيمان ببطلانه. وكذلك قال الصادق عليه السلام: ((كل شيء مردّوه الى الكتاب و السنة و كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف)) (كليني، ١٣٩٢، ج١، ص٩٩) يعني: كل شيئ يجب إحالته إلى القرآن وسنة الرسول وكل حديث لا يلائم القرآن، فهو كلام باطل.

يمكن توظيف روايات العرضة إثباتاً لصيانة القرآن وحفظه، ذلك أن القرآن لا يمكن عدّه وتعريفه كمصدر لتمييز الحديث الصحيح من السقيم أو الترجيح بين الروايات المتناقضة ما لم تثبت سلامته وتمام صحته من التحريف. ومن جانب آخر، إن هذه الروايات تعتبر آية بينة على أن الروايات التي تدلّ على التحريف ـ إضافة إلى ضعف السند ـ تفتقد الحجية لأجل مغايرتها بآيات القرآن نحو الآية التاسعة (٩) من سورة الحجر.

٢ـ حجية ظواهر الكتاب.

تعدّ ((حجيّة ظواهر القرآن الكريم)) من أخرى القضايا في العلوم القرآنية التي تفاقم النضال فيها منذ القرن الحادي عشر للهجرة بين الأصوليين والإخباريين. لئلا ينوء البحث على عاتق القارئ نغضّ الطرف عن ذكر أدلة الأصوليين في إثبات حجية ظواهر الكتاب ونكتفي بالإشارة إلى هذه الملاحظة على أن تعليم الأصحاب والتلاميذ منهج التفسير واستنباط الأحكام وكيفية استشهاد الأئمة عليهم السلام بالقرآن الكريم، من أبرز ملامح تقيّد هؤلاء بظواهر القرآن الكريم.

ومن دلائل إثبات حجية الظواهر هو استدلال الإمام الصادق عليه السلام في كلامه إثباتاً لضرورة مسح قسم من الرأس بالمؤشر الحرفي ((الباء)) في الآية ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ﴾ (الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١، ص٤١٣، الباب ٢٣، ح١٠٧٣ و ج٣، ص٣٦٤، باب ١٣، ح٣٨٧٨ (والاستدلال بالآية ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات:٦) نهياً عن قبول النبأ الذي يأتي به النحّام أي الفاسق واستدلال بالآية: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء:٣٦) للجزم بحرمة استماع الموسيقى المطرب وإن كان في المرحاض. (محمد الكليني، الكافي، ج٦، ص٤٣٢، ح١٠(والاستدلال بالآية: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ٦١)، إثباتاً لوجوب قبول شهادة المؤمنين (محمد الكليني؛ الكافي؛ ج٥، ص٢٩٩، ح١) دون

الشرح و التفسير. (محمد باقر المجلسي؛ بحار الأنوار؛ ج٧٥، ص٢٦٣، باب ٦٧، ح٣).

٣ـ شمولية القرآن الكريم.

قد فتح ثقة الإسلام الشيخ الكليني في كتابه الكافي الشريف، في فصل ((فضل العلم)) باباً تحت عنوان: ((باب الرد إلى الكتاب والسنة وأنّه ليس شيء من الحلال والحرام و جميع ما يحتاج الناس إليه وقد جاء فيه كتابه أو السنة)) وقد أورد فيه عشر روايات تدلّ كلها على أنّ كل ما أحلّ الله وكل ما حرّمه أي العبارات الفقهية وكل ما يحتاج إليه الناس في حقل الدين، قد ذكر في الكتاب والسنّة. ومن هذه الروايات حديث عن الإمام الصادق عليه السلام إذ يقول: ((ما من شيء إلا و فيه كتاب أو سنة)) (الكليني، ١٣٩٢، ج١، ص٥٩) ويعني هذا لا أمر من شؤون الدين إلا عنه ذكر في القرآن أو السنة. وكذلك يقول: ((إن الله تبارك وتعالي أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد أن يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن؟ إلا وقد أنزله الله فيه.)) (الكليني، ١٣٩٢، ج١، ص٥٩). يعني هذا أن الله سبحانه وتعالى أورد بياناً لكل شيء في القرآن الكريم وقسماً بالله العظيم أنه سبحانه وتعالى لم يترك ما يحتاج إليه عباده، حيث إنّه لم يكن عبد من عباده ليقدر على أن يقول: لو كان أنزل هذا الأمر في القرآن الكريم أيضاً، فما من شيء إلا أنزله الله تعالى في القرآن الكريم.

٤ـ المفردات أي معرفة الألفاظ.

تلعب الألفاظ في الكلام دور الطابوق للبناء إذ تقيمه وتشكل هندامه. فمن هذا المنظور، وفي رؤيته علم اللغة من أهم العلوم وأوجبها. (الراغب الأصفهاني، مقدمه مفردات).

وقد تطرّقت عدد من روايات المعصومين وأحاديثهم إلى تبيين ألفاظ القرآن؛ ومنها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في لفظة ((محسور)) في الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (اسراء/٢٩)، حيث قال: ((الإحسار: الفاقة))؛ الإحسار يعني الفقر والمحسور يعني الفقير. (الكليني، ١٣٩٢، ج ٤، ص٥٥).

وفي رواية أخرى عن الإمام عُرف أن لفظة ((الله)) مشتقة من ((إله)) بمعنى ((المألوه)) أي المعبود. (ابن بابويه القمي، ١٣٨٨ق، ص٢٢١) هذه الرواية بجانب إثباتها

نظرية الاشتقاق للفظة ((الله)) سبحانه وتعالى من بين الرؤى الموجودة في هذا الحقل التي تقول باشتقاق لفظة ((الله)) أو جمودها تؤكد على جذر ((أله أو له)) بمعنى ((عبد يعبد)) من بين الجذور الثلاثة المقترحة. وقد تؤكد بعض الرؤى على أن عدداً من ألفاظ القرآن ليست عربية وذلك يتجلّى فيما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في لفظة ((ابلعي)) في الآية: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ (هود/٤٤) وردت عن جذر هندي (أو انطلاقاً من قول آخر، وردت عن جذر حبشيّ) وتعني هذه اللفظة ((اشربي)). (العياشي، ١٦١١ق، ج٢، ص١٠٩) وكذلك بناء على رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام وردت لفظة ((التبير)) في آية ٣٩ من سورة الفرقان ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ لفظة نبطية أو قبطية وتعني التكسير (القمي، ١٣٨٧، ج٢، ص١١٦).

٥ ـ الوجوه والنظائر.

يكتب السيوطي في تعريف الوجوه والنظائر: ((الوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة و النظاير كألفاظ المتواطئة)). (السيوطي، ١٣٧٣، ج ٢، ص ١٤٤). وهناك روايات من بين الروايات التفسيرية تقوم بتقرير الوجوه المختلفة لمعاني اللفظة في القرآن الكريم؛ وهذا ما يزيح الستار عن حقيقة هو أنّ جميع أنواع العلوم القرآنية التي لها دورها في استيعاب الآيات الإلهية وفهمها، يمكن تتبّعها في روايات آل البيت؛ ولكنها للأسف الشديد بدأت لا تخطر بالبال وتركت من دون أن يعتنى بها وهذا الأمر انتهى إلى تصور خاطئ يؤكد على أنّ كثيراً من العلوم القرآنية نحو الوجوه والنظائر، وأسباب النزول، و... أسست أو تطورت وتوسعت على يد علماء أهل السنة. على أية حال، في الرواية التالية التي نقلها الإمام الرضا عليه السلام عن جده الكريم الإمام الصادق عليه السلام، ذكرت لمادة ((قـ ضـ ى)) وجوه دلالية عشرة، كما وردت في التالي:

أ) الدستور والأمر أو الوصيّة؛ نحو: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (الإسراء/٢٣) أي: أمر الله سبحانه وتعالى وأوصى أن لا تعبدوا إلّا إيّاه و...

ب) الإ خبار والإبلاغ والإعلان؛ نحو: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الإسراء/٤) أي: أخبرنا بني إسرائيل أن...

ج) **الفراغ؛** نحو: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ (البقرة/٢٠٠) أي: عندما فرغتم من مناسككم وأنجزتم أعمالكم...

د) **فعل العمل وإنجازه؛** نحو: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ (طه/٧٢) أي: ما تقدر وتتمكن على فعله افعله.

هـ) **النزول؛** نحو: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ (الزخرف/٧) أي: ولينزل ربّك علينا الموت.

و) **الوجوب؛** نحو: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ (مريم/ ٣٩٧) أي: عندما يجب العذاب على أهل النار.

ز) **الإتمام والإنهاء؛** نحو: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ (قصص/٢٩) أي: عندما أنهى موسى عليه السلام المدة المحدّدة.

ح) **الحكم والقضاء؛** (وهو المعنى الأساسي المتأصل لهذه اللفظة) نحو: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ (الزمر/١٩)

ط) **الخلق والإنشاء؛** نحو: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ (فصلت/١٢) أي وضعها وخلقها سبع سماوات. (الطبرسي، ١٣٧٤،ج١،ص٣٦٧)

٦ـ أسباب النزول.

نزلت بعض الآيات وسور القرآن، تبعاً للأحداث الشنيعة أو الجميلة التي وقعت أو نزلت لحاقاً لتساؤلات المتلقين واستفهاماتهم. هذه الأحداث وإن تتعلّق بفترة نزول القرآن، إلا أن القرآن الكريم قدّم لها حلولاً وأجاب عنها لأنّ مردّها إلى ابتلاءات المجتمعات البشريّة. وبعبارة أخرى، إنّ ما يعتبر في أسباب النزول هو عموم اللفظ لا خصوص السبب؛ ذلك أنه كما قال الإمام الصادق عليه السلام إن الله سبحانه وتعالى لم يجعل القرآن ليخصّ زمناً أو قوماً من دون غيره، بل القرآن طازج حديث مستجد لكل شعب ولكل زمان. (ابن بابويه القمي، ١٣٧٨ق، ج ٢، ص ٨٧؛ المجلسي، ١٦٠٣ق، ج ٢، ص٢٨٠).

على كل حال، قد اختصّ قسم من روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام ببيان أسباب نزول

الآيات؛ منها ما وردت رفضاً للروايات التي تعتبر الخطاب العنيف الذي ورد في الآيات البدائية لسورة العبس موجّهة إلى الرّسول الأكرم، حيث إن الإمام الصادق عليه السلام عرّف مخاطب هذه الآيات على أنّه شخص متموّل ثريّ من بني أميّة إذ أجمع رداءه بمجيئ عبد الله بن أم مكتوم وأجرح قلبه بما فعل. (الطبرسي، ١٣٧٦، ج ١٠، ص ١٦٤؛ طباطبايي، ج٢٠، ص٢٠٣).

أو تحت آية ١٠٨ من سورة البقرة حيث ينطلق عنها ويتجلى على أساسها ـ كما يصطلح عليه الأصوليون بناء على ظاهر الحكم أن السعي بين الصفا والمروة رخصة لا عزيمة، روي عن الإمام إذ قال: في العصر الجاهلي قد وضعت على جبل الصفا والمروة صنمان _ سمّيت بـ أساف ونائلة – وكان المشركون يعبدونهما وجماعة من المسلمين في عمرة القضاء تجنبوا عن السعي بين الصفا والمروة فراراً من هذه السنّة الجاهلية فنزلت هذه الآية رفعاً لهذا الحرج وجوازاً للسعي. (الطبرسي، ١٣٧٦، ج٨، ص١٧٩).

ينبغي أن نضيف هذه الملاحظة أنّ روايات أسباب النزول تعرّف نزول غفر غفير من الآيات على أنها نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وولايته ومنها ما يصطبغ بصبغة تأويلية. (نحو نزول آيات ٢٧٦ من سورة البقرة، و ٥٥ من سورة المائدة، و ٨٧ من سورة المائدة).

٧ـ الناسخ والمنسوخ.

النسخ لغة يعني الاستنساخ، والنقل والتبديل وقد ورد بمعنى إبطال الشيء وإقامته مقام شيء آخر. (ابن منظور، ١٤١٤ق، ٩١ / ٣) وقد ورد هذا المصطلح في العلوم القرآنية بمعنى إنهاء الحكم السابق بإتيان حكم جديد؛ نحو نسخ استقبال بيت المقدس وجعلها قبلة بإتيان حكم استقبال الكعبة وإقامة الصلاة إليها. (الخوئي، ١٦٠١ق، ص٢٧٧)

الأئمة المعصومين بجانب تأكيدهم على الأهمية التي تحتظيها قضية الناسخ والمنسوخ في فهم القرآن واستيعابه (الحرّ العاملي، ١٣٨٧، ج٢٧، ص٦٨) قد حددوا الناسخ والمنسوخ من آيات القرآن بعض الأحيان وفي بعض المواضع. إلا أنه وقعت مناقشات عنيفة في إمكان وقوع النسخ بين الباحثين؛ فمنهم من قال بوقوعه وقوعاً شاملاً ومنهم من لم يخضع لقبول هذه القضية وبدأ لا يطيقه إلا في موضع واحد، على أية حال، يمكن أن ندّعي أنّ النسخ ظاهرة شرعية قرآنية ولا تماثل المفاهيم الأخرى، نحو: العام والخاص، المطلق والمقيد،

والمحكم والمتشابه وغيرها... بل وظّف هذا المصطلح في ثقافة أهل البيت عليهم السلام في نفس معناه الاصطلاحي الشرعي. (مولايي‌نيا، ١٣٧٨، ص٩٩).

فيُضرب المثل برؤية الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليهما السلام، فمن منظورهما آية المواريث، نسخت الآية: ((كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت...)) (بقره:١٨٠) أو نسخت وجوبه. (العياشي، ١٤١١ق، ج١، ص٩٩) وكذلك الإمام الصادق يرى أنّ آية ميراث المرأة تنسخ الإمتاع الذي يجعل متعة الزوجة من مال زوجها بعد موته، المكوث في بيته بسنة وقد وضّح الإمام عليه السلام أن هذا القانون كان سائداً بين الناس قبل نزول آية الميراث. (العياشي، ١٦١١ق، ج١، ص١٦١ معرفت، ١٣٧١، ج٢، ص٦٠).

٨. تبيين دقائق القصص القرآنية.

يذكر القرآن الكريم وقائع السلف والأحداث التي طرأت عليهم مما يتعلّق بالأنبياء والأمم السالفة تعليماً وتربية واتّعاظاً؛ إلا أنه امتنع عن تفصيل جميع مرايا هذه القصص وزواياها ودقائقها ولم يختر إلا قسماً من الحلقات التي لعبت دوراً أساسيّاً وشكّلت مقاطع وعظية. فكثيراً من الحلقات المفقودة للقصص من أسماء الشخصيات، والأمكنة، وزمن حدوث الوقائع، و... سكت عنها القرآن الكريم، فنفس هذه القضية مهدت الأرضية لرجوع المسلمين والصحابة إلى أهل الكتاب وتفشي الإسرائيليات في التفسير. بينما يمكن معرفة دقائق القصص القرآنية معرفة دقيقة بالرجوع إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نفسه وخلفائه المعصومين عليهم السلام. وقد ولج عدد من الأئمة الطاهرين من أمثال الإمام الصادق والإمام الرضا عليهما السلام في هذه القضية وقد بينوا قسماً كبيراً من الحقائق التاريخية التي أشارت إليها الآيات وقد حذّروا المستمعين من الأباطيل التي اختلقت في قصص الأنبياء. (ابن بابويه القمي، ١٣٧٨ق، ج١، ص١٩٦)، وكذلك الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام ذكروا وذكّروا أحداث تاريخ الإسلام والأمم السالفة بشكل موسّع تحت عدد من آيات القرآن الكريم؛ ومن نماذج كلامهم ما يلي:

قصة قتل رجل من بني إسرائيل وأمر النبي موسى عليه السلام بذبح بقرة وضرب عظامها بجسد المقتول ليفضح اسم القاتل وقد فصّلت هذه الحكاية وانعكست جميع ملامحها في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام. (القمي، ١٣٨٧، ج١، ص٦٩ - ٥٠؛ حويزي الشيرازي،

١٦١٥ق، ج ١، ص ٨٨-٨٩).

وفي مثال آخر، شرحت الحكاية التي أشير إليها في الآية ٢٦٣ من سورة البقرة شرحاً مبسطاً، في رواية نقلت عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام. (كليني، ١٣٩٢، ج٨، ص٩٨).

وكذلك في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام فسّر دعاء النبيَّين داود وعيسى عليهما السلام على بني إسرائيل في آية ٧٨ من سورة المائدة على الترتيب على أن هذا الدعاء يعود إلى نسخ هؤلاء قردة بدعاء النبي داود عليه السلام ونسخهم خنازير بدعاء النبي عيسى عليه السلام. (الكليني، ١٣٩٢، ج٨، ص٢٠٠).

واستناداً إلى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام، عني بـ ((اسماعيل الصادق الوعد)) في آية ٥٤من سورة مريم، نبي آخر يختلف عن النبي إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام. (ابن قولويه القمي، ١٣٧٥، ص ٩٣).

النتيجة:

يعد توظيف كلام الأئمة عليهم السلام الفريد في الحقول المختلفة سيما في استيعاب كلام الله سبحانه وتعالى وفهمه ملاحظة هامة، جديرة بالعناية وينبغي الاهتمام بها اهتماماً بالغاً. وقد ظهرت في القرون الأخيرة علوماً مستجدة تسلك طريقها في فهم كتاب الله واستيعابه و((العلوم القرآنية)) هي إحدى هذه العلوم. وقد بيّن خبراء هذا العلم والأخصائيين في هذا المجال محاور عديدة لهذا العلم وقد تتلخص جميعها في قضية موحدة هي القرآن الكريم وإنشاء أرضية مناسبة وأسس راقية لفهم هذا الكتاب السماوي على أحسن وجه. ومن جهة أخرى، يجب القول بأنّ محيط معارف آل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام الصادق عليه السلام دراري الدّرر وفرائد العقود التي تتمكن من هداية الظامئين وإرشاد ملهفي طريق الهداية إلى سواء السبيل.

وقد تطرّق هذا المقال إلى دراسة عدد من روايات الإمام الصادق عليه السلام في قسم من قضايا العلوم القرآنية تأكيداً على هذا الافتراض على أن العلوم المستجدة التي ولدت في العهود الأخيرة في حقل معرفة القرآن الكريم مدينة إلى الأئمة الأطهار فلابد من شدّ هذه الرؤى بكلام المعصومين عليهم السلام وارتباطها بهم.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١.ابن بابويه القمي، محمد بن علي الحسين (١٤٠٦هـ. ق)،ثواب الأعمال و عقاب الأعمال، قم، دارالرضي، چاپ اول.

٢._____، _____، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تهران، نشر جهان، چاپ اول.

٣._____، _____، التوحيد، انتشارات جامعه مدرسين، چاپ اول.

٤._____، _____، علل الشرايع، تصحيح و تعليق حسين الأعلمي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، چاپ اول.

٥._____، _____، من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق علي أكبرغفاري، تهران، نشر صدوق، چاپ اول.

٦.ابن قولويه القمي، جعفربن محمد(١٣٧٥) كامل الزيارات، تصحيح وتعليق علي أكبرغفاري، تهران، نشر صدوق، چاپ اول.

٧. ابن منظور، محمدبن مكرم (١٤١٤ق)لسان العرب، بيروت: دارصاد، چاپ سوم.

٨. بابايي، علي أكبر وعزيزي كيا، غلام علي وروحاني راد، مجتبي(١٣٨٧) روش شناسي تفسير قرآن، قم: پژوهشگاه حوزه و دانشگاه، چاپ سوم.

٩.البحراني، سيد هاشم(١٤١٦ق) البرهان في تفسيرالقرآن، تهران: بنياد بعثت، چاپ اول.

١٠. البرقيي، أحمدبن محمد بن خالد(١٤٢٩ق) المحاسن، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، چاپ اول.

١١. الجزائري، سيد نعمت الله(١٤٠٤ق)، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، قم: كتابخانه آية الله العظمي المرعشي النجفي، چاپ اول.

١٢. جوادي آملي، عبدالله(١٣٨٣ش)، نزاهت قرآن از تحريف، قم: مركز انتشارات اسراء، چاپ اول.

١٣. الجوهري، إسماعيل بن حماد(١٤٠٧ق)، الصحاح، بيروت: دار العلم للملايين، ج٣.

١٤. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن(١٣٦٧)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تهران: كتابفروشي إسلامية، ج٢٧.

١٥. حويزي الشيرازي، عبد علي بن جمعة(١٤١٥ق)، تفسير نور الثقلين، تحقيق سيد هاشم رسولي المحلاتي، قم: انتشارات إسماعيليان، چاپ چهارم.

١٦. الخويي، سيد أبو القاسم(١٤٠١ق)، البيان في تفسير القرآن، قم: انوار الهدى.

١٧.الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد(د.ت) المفردات في غريب القرآن.

١٨. الزرقاني، عبدالعظيم (١٩٨٨م)مناهل العرفان، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٩.السيوطي، جلال الدين (١٣٦٣)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، تهران: منشورات الرضي- بيدار، چاپ دوم.

٢٠. الشيباني، محمدبن الحسن(١٤١٣ق)، نهج البيان عن كشف معاني القرآن، تحقيق حسين درگاهي، تهران: بنايد دايرة المعارف إسلامي، چاپ اول.

٢١. الطالقاني، عبدالوهاب (١٣٧٧)، تاريخ تفسير، تهران: انتشارات نبوي، چاپ اول.

٢٢. طباطبايي، محمد حسين(د. ت)، الميزان في تفسير القرآن، قم: انتشارات جامعه مدرسين حوزه علميه، چاپ سوم، ج.٢٠

٢٣. الطبرسي، فضل بن الحسن(١٣٧٠)مكارم الأخلاق، قم: انتشارات شريف رضي، چاپ چهارم.

٢٤. العياشي، محمد بن مسعود (١٣٧٤)، كتاب التفسير، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، چاپ اول.

٢٥. فيض كاشاني، ملا محسن(١٤٠٢ق)، تفسير الصافي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، چاپ اول.

٢٦. القمي، علي بن ابراهيم(١٣٦٧)، تفسير القمي، تحقيق سيد طيب موسوي جزايري، قم: دارالكتاب، چاپ چهارم.

٢٧. الكليني، محمدبن يعقوب(١٣٦٢)، الكافي، تهران: انشارات علميه اسلاميه.

٢٨. المجلسي، محمد باقر(١٤٠٣ق)، بحار الأنوار، بيروت: مؤسسة الوفاء.

٢٩. معرفت، محمد هادي(١٣٧١)التمهيد في علوم القرآن، ترجمه أبو محمد وكيلي، تهران: مركز چاپ و نشر سازمان تبليغات اسلامي، چاپ اول.

٣٠. مولايي‌نيا همداني، عزت الله(١٣٧٨)، نسخ در قرآن، تهران: نشر رايزن، چاپ اول.

٣١. نصيري، علي(١٣٨٦)، رابطه متقابل كتاب و سنت، تهران: پژوهشگاه فرهنگ و انديشه اسلامي، چاپ اول.